التقنية ومصير الوجود الإنساني

قراءة في نص "التقنية، الحقيقة، الوجود" لمارتن هيدغر

Technique and the fate of human existence

A critical reading of Martin Heidegger's text of "technique, truth, existence"

بن فريحة أسماء[1*]، تحت إشراف الدكتور مونيس بخضرة

[1] طالبة دكتوراه جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان، الجزائر، benfriha.asma@gmail.com

2- جامعة أبو بكر بلقايد ،تلمسان، الجزائر monisb@live.fr

تاريخ الاستلام: 2021/08/07 تاريخ القبول: 2020/10/12 تاريخ النشر: 2020/10/23

ملخص: تعدّ مسألة التقنية إحدى أهم المسائل الفلسفية المعاصرة التي أثارت اختلافا واسعا بين الفلاسفة الغرب بين مؤيّد لمنجزات التقنية وتطوّراتها الهائلة ومدى مساهمتها في تجديد الحياة اليومية للفرد، وبين معارض لها باعتبارها الخطر الأكبر الذي يهدّد وجود الإنسان من حيث كينونته، وقيمه وثقافته. ويعتبر الفيلسوف الألماني "مارتن هيدغر" أحد أبرز الفلاسفة الذين فكروا في موضوع التقنية بصورة تبتعد عن كل أحكام مسبقة ودون إسقاط أي تصورات ذاتية، ممّا دفعنا إلى هدف الوصول لاكتشاف الطريقة التي فكّر بها هيدغر في موضوع التقنية متجاوزا بذلك التعريف الأداتي للتقنية والبحث عن ماهيتها الحقيقية، لأنّ التقنية وماهية التقنية ليسا نفس الشيء، وقلب التصوّر الشائع الذي يعتقد أنّ العلم أساس التقنية لتكون التقنية هي أساس النظريات العلمية عند هيدغر هذا من جهة، والتحذير من مخاطرها في تدهور قيم الوجود الإنساني من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: هيدغر،، التقنية ،، التفكير،، العلم،، الإنسان.

Abstract: The issue of the technique is one of the most important philosophical problems that have raised wide difference between Western philosophers, who supported the achievements of the technique and its contribution to the renewal in the daily life of individual, and those who oppose it as the greatest danger that threatens the existence of man interms of his being, his valures, and his culture. Heidegger is considered as one of the most prominent philosophers who thought about technique in a way that distanced itself from allprejudices. Which prompted us to reach of discovering the way Heidegger thought, bypassing the instrumental definition of technique and searching for its true nature, because technique and its meaning is not the same thing, He overturned the common perception that science is the basis of technique, so that technique is the basis of scientific theories but he warned of its dangers in the deterioration of the values of human.

Keywords: Heidegger; Technique; Thinking; Science; Human.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعيش العالم اليوم في تحوّل مستمرّ وتغيّر جذري منذ لحظة مواجهة الإنسان للطبيعة، ومحاولة السيطرة عليها والسعي إلى تسخيرها لمآربه وحاجياته، وذلك عن طريق إبداع وسائل وأدوات كانت في بدايتها يدوية تقليدية إلى أن أصبحت وسائل وتقنيات حديثة ومتطوّرة لا يمكن للإنسان الإستغناء أو الإبتعاد عنها، فمن الراديو إلى التلفزة إلى الكمبيوتر، ومن الجرار إلى الطائرة وإلى المركبات الفضائية، إلى درجة أنّها أصبحت تشكّل سلطة على الإنسان أفقدته حريّته وجعلته خاضعا لها دون إذن منه. هذا العملاق التقني الذي أصبح يشكّل خطرا على المجتمع وعلى الفرد من حيث الإبتعاد عن قيمه وثقافاته دفع بالفلاسفة المعاصرين إلى التفكير في إشكالية التقنية وفي مقدمتهم الفيلسوف الألماني "مارتن هيدغر" الذي يعتبر من أبرز الفلاسفة الغرب الذين أحدثوا ثورة في المفاهيم الفلسفية، وتغييرا في أسلوب التفكير ممّا دفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: كيف فكّر مارتن هيدغر في موضوع التقنية؟ فيما تتمثل ماهية التقنية عند هيدغر؟ وهل الثقافة التقنية حماية لكينونة الإنسان أم أنها خطر وتهديد لقيمه وثقافته؟ معتمدين في ذلك على فرضيات أساسية أهمّها:

- أنّ التقنية آلة أو وسيلة يحقّق بها الإنسان حاجياته الضرورية ورغباته اليومية.
- وجود علاقة تفاعلية وتكاملية بين التقنية والعلم.
- تشكّل التقنية الحديثة والمتطّورة خطر على ثقافة الإنسان وتهديد لكينونته، وتقييد لحريته.

وذلك من أجل تحقيق الأهداف التالية:

- الكشف عن كيفية إعادة التفكير في التصوّر الرائج حول التقنية الحديثة عند مارتن هيدغر، وطريق التأسيس لتصوّر جديد.
- تحديد الخاصية الجوهرية للتقنية الحديثة مقابل التقنية القديمة.
- التحذير من الخطر الأكبر للتقنية الذي يهدّد كينونة الإنسان ويفقده هويته وثقافته الإنسانية ويحدّ من حريته الحقيقية. معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي لكتابات هيدغر.

2. طريق التفكير نحو التقنية

يؤكّد "مارتن هيدغر" في بداية نصه حول التقنية على ضرورة المنهج وأهمية الطريق في البحث عن موضوع التقنية باعتباره موضوع العصر الذي يجب على الفلسفة الإشتغال عليه والتفكير داخله _ وهذه الإشارة لضرورة المنهج أو الطريق في التفكير نحو مسألة التقنية قلّما نجدها في الدراسات السابقة لهذا الموضوع _ قائلا: **" أن نتساءل هو أن نعمل على إعداد طريق وأن نشيّده. لهذا فمن المناسب أن نفكّر قبل كل شيء في الطريق وألاّ نرتبط باقتراحات أو تسميات خاصة. الطريق هو طريق الفكر."** [1]

لا يمكن للفيلسوف أن يفكّر خارج المنهج أو الطريق الذي أسّسه أو شيّده للوصول إلى أفكار جديدة، وهذا ما يؤكّد عليه تاريخ الفلسفة لأنّ المنهج " طريق نصل من خلالها إلى نتيجة معيّنة، حتّى وإن كانت هذه الطريقة لم تتحدّد من قبل تحديدا إراديا ومتروّيا."[2] لكن هيدغر لم يحدّد لنا في نص التقنية المنهج أو الطريق الذي سلكه متعمّدا في ذلك ألاّ يرتبط بتسميات أو اقتراحات معيّنة قائلا أنّ "الطريق هو طريق الفكر."[3] **فماذا يقصد هيدغر بالفكر؟**

الفكر طريقة في القول، طريقة لاكتشاف الحقيقة، وما التفكير إلاّ الطريق الصحيح لقول الحقيقة وكشفها إن كانت محجوبة، والأمر الأساسي الذي يدعونا للتفكير هو أنّنا لازلنا لم نفكّر بعد، فالإشتغال على الفلسفة والإهتمام بالقضايا الفلسفية الكبرى والتفتّح على أفكار كبار الفلاسفة عبر التاريخ هو ليس مجرّد استعداد للتعلّم وحسب " إنّ كوننا نبدي اهتماما بالفلسفة ليس دليلا بعد على أيّ استعداد للتفكير. (...) حتّى وإن كنّا نشتغل بإلحاح وعلى مدار أعوام بدراسات وكتابات كبار المفكّرين، فهذا لا يضمن بعد بأنّنا نفكر نحن بأنفسنا، أو حتّى بأنّنا مستعدّون مجرد استعداد لتعلّم التفكير (...)وإنّ الأكثر استدعاء للتفكير، في وقتنا الذي يدعو للتفكير ، هو أنّنا لا نفكّر بعد. "[4]

التفكير الحقيقي عند هيدغر هو ليس مجرّد طرح التساؤلات الفلسفية من أجل زعزعة بعض الحقائق الثابتة، بل التفكير الذي يدعو إليه هيدغر هو الذي يوصلنا إلى إزاحة الحجاب عن الأمور التي لم تكشف بعد، هو الوصول إلى حقيقة ما هو متوارى ومتخفّي وليس ما هو ظاهر باعتباره هو الحقيقة، لأنّ اعتقاد الإنسان بأنّه يملك الحقيقة يمنعه من البحث عنها؛ "عندما نتعلّم التفكير فإنّه لا يحقّ لنا، خاصّة ونحن على الطريق الذي اخترناه من أجل هذه المهمّة، أن نسرع إلى الإختفاء خلف الأسئلة المزعجة وإنّما يجب علينا أن ننكب على الأسئلة التي تبحث عن الشيء الذي لا يمكن لأي اكتشاف أن يصل إليه (...) إنّ انبهارنا بالحقيقي هو الذي نميل إلى اعتباره الشيء الذي يصنع حقيقة الحقيقي، غير أنّ تمكّن الحقيقي منّا من شأنه أن يحول بين الإنسان وبين ما يهمه."[5]

بمعنى أنّ اعتقادنا بامتلاك حقيقة الأشياء يمنعنا من البحث عن الحقيقة ويؤدّي إلى تمسّكنا بآراء خاطئة ونظن أنّها صحيحة، ممّا يحجبنا عمّا هو حقيقي وبالتالي يبعدنا عن التفكير فيها.

الفكر شكل من أشكال الكتابة الفلسفية التي تعتمد على اللغة وأكّد على فكرته بقوله: " كل طرق الفكر تقود بكيفية غير واضحة وبممرات غير معتادة، عبر اللغة "[6]. سيفكّر هيدغر في موضوع التقنية[7] عبر اللغة والذي يكون طريق غير واضح تكتنفه الرؤية الغير الواضحة، وقد يكون مظلما ومتشعّبا، نتعثّر فيه كثيرا لأنّنا غير معتادين عليه ولسنا مألوفين لديه، غير أنّ هيدغر يؤكد على العلاقة الحرّة التي سوف نقيمها مع الموضوع، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على أنّ لهيدغر مفاهيم جديدة وإبداعات خاصة وتصورات مخالفة ومناقضة لما هو مألوف لدينا حول موضوع التقنية.

غير أنّ هذا الطريق الذي اتّخذه هيدغر يبتعد عن كل أحكام مسبقة أو تصوّرات قبلية ويدعونا إلى إقامة علاقة حرّة مع الموضوع حتّى نتمكّن من الوصول إلى حقيقتها. "إنّنا نسأل في موضوع

التقنية وبذلك نريد أن نقيم علاقة حرّة معها. والعلاقة تكون حرّة عندما تفتح كينونتنا على ماهية التقنية إذا قدمنا جوابا حول هذه الماهية نستطيع عندئذ أن نعي النزعة التقنية في حدودها"[8].

أي لا يمكن فهم الثقافة التقنية ولا تحديد هذه النزعة التكنولوجية المتطوّرة إلاّ بالبحث عن ماهية التقنية، لأنّ التقنية وماهية التقنية ليسا نفس الشيء وهنا يمكن لنا كشف الطريق أو المنهج الذي تفادى هيدغر تسميته لخوضه في مسألة التفكير في هذا الموضوع لأنّه ظلّ وفيّا له في كل كتاباته ألا وهو المنهج الفينومينولوجي.

تعبّر الفينومينولوجيا[9] عند هيدغر عن قاعدة يمكن صياغتها على النحو التالي: "نحو الأمور نفسها وذلك في مقابل كل البناءات المعلقة في الهواء، وكل الإكتشافات المجانية، وفي مقابل الأخذ بالمفهومات التي لم يبرهن عليها إلاّ ظاهرا، وفي مقابل الأسئلة المزيّفة التي تفرض نفسها ذات المرار من جيل إلى جيل بوصفها مشاكل بيد أنّ هذه القاعدة مفهومة من نفسها وتعبير عن المبدأ الخاص بكل معرفة علمية. "[10]

يجعل هيدغر من الفينومينولوجيا المنهج الذي يبتعد عن كل أحكام مسبقة نابعة من اعتقادات غير مبرّرة أو ناتجة عن أهواء مزيّفة والاتجاه نحو الظاهرة عينها أو نفسها، ولا تقف عند ما هو ظاهر فقط بل تبحث فيما هو متواري خلف الظاهرة، لهذا لم يقف هيدغر عند البحث في التقنية بمظاهرها الآلية أو الأداتية بل تساءل عمّا هو متواري خلفها وذلك بالبحث عن ماهية التقنية والتي تعتبر الفينومينولوجيا المنهج الأساسي الذي يبحث في الماهيات.

لقد انصبّ اهتمام هيدغر في البحث عن ماهية التقنية، (l'essence de la technique وهذا تطبيقا لمنهجه الفينومينولوجي الذي يقوم على الذهاب من الظاهرة إلى الماهية، أو ممّا هو خاص إلى ما يؤسس الحضور.[11]

يرى هيدغر أنّ الفينومينولوجيا تعني كشف الوجود أو أسلوب وجود الموجود، أي أنّها ذلك المنهج الذي يجعلنا نرى ما يكون محجوبا، ويعمل على كشفه واستخراجه من خفائه، أي جعله لا متحجبا. يتبيّن لنا أنّ المركب فينومينولوجيا يعني : أن نترك الأشياء تظهر على ما هي عليه، أو تكشف عن نفسها. وهو عكس المعنى الذي اعتدنا عليه؛ أي المعنى الذي يرى أنّنا نحن من يشير إلى الأشياء". ولكن كيف تكشف الأشياء عن نفسها؟.[12] أو بصيغة أخرى ملائمة لموضوعنا كيف يمكن للتقنية كظاهرة أن تكشف عن نفسها عند مارتن هيدغر؟

إنّ الأشياء تكشف عن نفسها من خلال "الفهم". والفهم ليس كما أشيع عنه شيئا يمكن تحصيله وامتلاكه، وليس شيئا يمكن بواسطته امتلاك العالم، ولا هو صفة تخصّ الوعي. إنّه حال أساسية من أحوال الدازاين؛ فهو يقول إنّ نمط وجود الدازاين يتمثّل في أنّه وجود فاهم لذاته، أي قادر على إدراك ممكنات وجوده ضمن سياق العالم الحياتي الذي وجد فيه. [13]

إنّ فينومينولوجيا هيدغر قائمة على الفهم، فهم الدازاين لأحواله انطلاقا من تجربته المعيشة في الوجود، فالفهم هو نمط من أنماط تكشّف الوجود لا يتحقّق الفهم إلاّ في إطار أنطولوجي، لأنّ الفهم طريقة أو أسلوب لوجود الإنسان ليس الفهم شيئا يفعله الإنسان بل هو شيء يكوّنه انطلاقا من الخبرة المعيشية في الحياة، أو خبرة الوجود في العالم.

وإذا أردنا تطبيق كل هذا على التقنية لا يمكن لنا أن نصل إلى ماهيتها الحقيقية إلاّ من خلال الفهم الذي يكون انطلاقا من التجربة الحياتية أو المعيشية للإنسان، وهنا نجد هيدغر يتجاوز الفينومينولوجيا باعتبارها مدرسة إلى اعتبارها "إمكانية في التفكير"[14].

ولمّا كانت اللغة، في نظر هيدغر، هي مجال الفهم، فإنّ ذلك يعني، من جهة أنّ ظهور العالم وانكشاف الأشياء يتم من خلال اللغة. ويعني من جهة أخرى، أنّ الإنسان يفهم ويفسر ويؤول من خلال اللغة. إنّ اللغة هي التجلّي الوجودي للعالم وكشف للمتحجّب وإبرازه من خفائه، والأشياء تكشف ذاتها من خلال اللغة. فاللغة مسكن الوجود. هكذا يضعها هيدغر في سياق جديد تماما حين ينظر إليها بوصفها التجلّي الوجودي للعالم.

وعليه فطريقنا في هذا البحث هو طريق الفينومينولوجيا، والتقنية هي ظاهرة من بين الظواهر التي تريد أن تكشف ما هو متخفي وراءها وما هو متستر لتنزع عنه الحجاب فكيف اخترق هيدغر ما هو ظاهري في التقنية ليصل إلى عمقها وماهيتها المتحجّبة؟

3. ماهية التقنية عند مارتن هيدغر

ينطلق هيدغر في تفكيره حول ماهية التقنية بعرض التعريف الأداتي أو الأنثروبولوجي للتقنية باعتبارها مجموعة من الأدوات والوسائل لتحقيق غاية معيّنة من جهة، وفعالية خاصة بالإنسان من جهة أخرى، لأنّ التقنية وماهية التقنية شيئان مختلفان ولا يمثّلان بعضهما البعض "عندما نبحث في ماهية الشجرة علينا أن نفهم أنّ الذي يحكم كل شجرة باعتبارها شجرة، ليس هو ذاته شجرة يمكن أن نصادفها ضمن أشجار أخرى."[15]

يقف هيدغر عند هذا التعريف الأداتي أو الأنثروبولوجي للتقنية والذي يحصره في خمس أطروحات شائعة، وعندما يقول مصطلح "شائعة" يعني أنّه يعتبرها مجرّد تصورات فلسفية قد تكون غير صائبة من الممكن رفضها وعدم الأخذ بها كما قد تكون صائبة يمكن اعتبارها صحيحة والأخذ بها وهي كالتالي:

1- التقنية الحديثة وسيلة مبتكرة تم اختراعها من طرف الإنسان.

2- التقنية الحديثة أداة بحث بمثابة التطبيق العملي لعلم الطبيعة الحديث.

3- تأسيس التقنية على العلم الحديث، هو مجال من مجالات الحضارة الحديثة الخاصّة.

4- التقنية الحديثة تطوّر مستمرّ، يتمّ تطويره بالتدرّج من التقنية الحرفية القديمة وبحسب الإمكانيات التي تتيحها الحضارة الحديثة.

5- يفرض تعريف التقنية الحديثة بوصفها أداة إنسانية كما يتم تعريفها أنّها أيضا تحت مراقبته، بحيث يضمن الإنسان التحكّم فيها كما بصنوعاته.[16]

لو تأمّلنا في هذه التصورات الفكرية والفلسفية للتقنية لوجدناها صائبة وصحيحة من الصعب رفضها أو تجاوزها، وحتّى هيدغر يؤكد على صعوبة إنكار هذا التصوّر الأداتي أو النفعي أو الفعلي للتقنية خاصة وأنّه ينطبق على التقنية الحديثة التي ظهرت مع بداية القرن 17م وظهور الثورة الصناعية التي عرفت انتقالا من التقنية الحرفية إلى تقنية الآلات ذات المحرّك، ويقدم لنا في ذلك أمثلة لتأكيد فكرته وهي بمثابة تمييز بين التقنية الحديثة والتقنية القديمة، الأولى تمثّلها "محطة مولدة الكهرباء بأسطواناتها ومولداتها وسيلة شيدت من طرف الإنسان لأجل غاية وضعها الإنسان، والطائرة النفاثة، أو الآلة ذات التواتر العالي فهما أيضا وسيلتان من أجل تحقيق غايات، ومحطة رادار هي وسيلة أكثر تعقيدا من طاحونة الهواء، والثانية يمثّلها معمل نشارة خشب صغير يعمل في واد مجهول بالغابة السوداء، ستكون وسيلة بدائية مقارنة مع المحطة الكهربائية.[17]

لكن يرفض هيدغر هذا التصوّر الأداتي أو الأنثروبولوجي للتقنية لمجموعة من الإعتبارات أهمها:

-إنّ التصوّر البرغماتي أو الفعلي للتقنية لم يتمكّن من تحديد الخاصية الجوهرية للتقنية الحديثة.

- هذا التصور يجعل من العلم أساس التقنية، بدل من أن تكون التقنية أساس العلم.

-هذا التصوّر الأنثروبولوجي لا يميّز بين التقنية القديمة والتقنية الحديثة.

- وأخيرا هذا التصوّر يمنح الإنسان القدرة على التحكّم في التقنية والسيطرة عليها وجعلها تحت مراقبته في حين أنّ التقنية الحديثة هي التي أصبحت تتحكم في الإنسان وتسيطر عليه.

إنّ شغف هيدغر بالوصول إلى الحقيقة هو الذي جعله يبحث عن ماهية التقنية دون أي قيود فكرية مسبقة وبعيدا عن كل تصورات قبلية يفرضها نظام أو سياسة أو غيرها، الحقيقة نجدها في انكشاف ماهية التقنية، بدون هذا الإنكشاف لا نحصل على الحقيقة، وهي التي دفعت بهيدغر إلى تجاوز هذا التصور الأداتي بالرغم من صحّته لأنّه لم يتمكّن من الكشف عن ماهيتها.

فليس كل ما نراه دقيق أمامنا حقيقي" لكي تكون الملاحظة صحيحة فهي لا تحتاج لكشف ماهية ما هو أمامنا، هناك فقط عندما يحدث مثل هذا الإنكشاف يتجلّى ما هو حقيقي. لذلك فإنّ ما هو دقيق فقط لم يصل بعد إلى كونه هو الحقيقي. هذا الأخير هو وحده الذي يضعنا في علاقة حرة "[18].

ولكي نتمكّن من الوصول إلى فهم حقيقة الأداتية يجب تحديد المعنى الصحيح والملائم لمفهوم العليّة، لكنّه يقدّم مفهوم مخالف لما اعتدنا عليه فالغاية هنا ليست كنتيجة بل كعلّة، وحتى الوسائل

والأدوات التي بإمكانها أن تحقّق هذه الغاية تعتبر علّة، فأينما وجدت العلّة وجدت الغائية. ويشير هيدغر إلى العلل الأربعة والبحث عن معنى جذورها عند اليونان خاصة أرسطو ومقارنتها بمفهومها المتداول اليوم وهي تتمثّل في:

1 _العلة المادية :مثلا المادة التي نضع بها كأسا من الفضة.

2_العلة الصورية: الشكل الذي تدخل فيه الصورة.

3_ العلة الغائية: مثلا الغائية التي بها يتحدد كل من مادة وشكل الكأس الذي نحن بحاجة إليها.

4_ العلة الفاعلة: أي تلك التي تصنع النتيجة أي الكأس الواقعية المكتملة: الصائغ.[19]

وبالتالي ستنكشف لنا ماهية التقنية على أنّها وسيلة إذا أرجعنا الأداتية إلى العلة الرباعية. لكن هيدغر يطرح السؤال لماذا هناك بالتدقيق أربع علل؟ وما المقصود بكلمة علّة؟

يعتبر هيدغر أنّ العلّة مبدأ كبير وعظيم وشريف وتكمن عظمته في أنّه المبدأ الأساسي الذي يميّز العصر الحديث وهو عصر التقنية ويعبّر عنه بالصيغة التالية: "Nihil est sime ration: لا يوجد شيء بدون علّة".[20]

لقد تعوّدنا منذ مدة طويلة على أن نتصوّر العلّة بأنّها الشيء الذي يفعل ويحدث ويعني الفعل أحدث هنا: أحرز على نتائج. إنّ العلّة الفاعلة من ضمن العلل الأربعة، هي التي تطبع العليّة بطريقة محدّدة هذا إلى درجة أنّنا لا ندخل في الحسبان العلّة الغائية .

يحيلنا هيدغر إلى عبارة من محاورة المأدبة لأفلاطون يقول فيها ما هو فعل الإقتياد هذا "كل إتيان بأيا كان يمر ويتقدم من اللاحضور إلى الحضور هو "إنتاج".[21] أي أنّ محرّك هذه العلل هو فعل الإقتياد؛ يقود شيئا من اللاحضور إلى الحضور، من الغياب والتخفي إلى الظهور، وهو ما يسميه هيدغر بالإنتاج.

لكن"هيدغر" لم يحصر مفهوم الإنتاج في معناه الضيق ولم ينتقد معناه عند أفلاطون بل قدّمه في معناه الواسع والذي نسبه له اليونان؛"ليس الإنتاج هو فقط الصناعة الحرفية، وليس فقط هو الفعل الشعري والفني الذي يظهر ويخبر على شكل صورة. إنّ الطبيعة بالمعنى اليوناني أي الفيسيس التي عن طريقها ينفتح الشيء من تلقاء ذاته هي أيضا إنتاج بل هي ذاتها إنتاج بأرقى معاني الكلمة."[22]

فالإنتاج الذي تقدمه الطبيعة أرقى وأسمى من الإنتاج الذي يقدّمه الإنسان أو الشخص أو الفنان بصفة عامة، لأنّ الإنتاج الذي تقدمه لنا الطبيعة يحمل في ذاته الإنفتاح ويعزّز فكرته هاته بمثال حول الوردة كإنتاج يحمل في ذاته تفتّحها على عكس كأس الفضّة الذي لا يملك في ذاته إمكانية الإنفتاح المتضمنة في الإنتاج إلاّ عبر الفنان أو الصانع.

وبهذا يؤكّد هيدغر أنّ أنماط الإتيان ب أي العلل الأربعة تقوم بعملها إذن داخل عملية الإنتاج وبفعل عملية الإنتاج يظهر إلى الوجود، في كل مرة، سواء ما ينمو في الطبيعة أو ما تصنعه الحرف

والفنون. وهنا يتساءل هيدغر "كيف حدث هذا الإنتاج سواء في الطبيعة أو في الصناعة؟ ما هو هذا الإنتاج الذي تتحرّك فيه الأنماط الأربعة للإتيان ب"؟ أو بطرح غير مباشر كيف حدثت التقنية؟.

"إنّ الإنتاج ينقل الشيء من حالة الإختفاء إلى حالة عدم الإختفاء. فهو إذن يستحضر ويقدّم. لا يحدث فعل الإنتاج إلاّ بقدر ما يقود شيئا من الإختفاء إلى عدم الإختفاء. يستند فعل الوصول هذا، ويجد نفسه فيما نسمّيه بالإنكشاف (الكلمة تعني هنا فعل الخروج من الغياب والتستّر) لقد سمّى اليونان هذا الإنكشاف باسم الأليثيا وهي كلمة ترجمها اليونان بحقيقة (VERITAS) ونحن الألمان نقول WAHRKRIT (حقيقة) ونفهم منها عادة دقة أو صواب التمثل."[23]

هكذا إذن تكون ماهية التقنية نمط من الإنكشاف، ولا يمكن أن نربط جوهرها بالتصوّر المادي أو الأداتي للتقنية، بل أنّ ماهيتها ترتبط بما هو معنوي مجرّد، وهو ارتباطها بمجال الحقيقة وهذا في نظر هيدغر ما يثير فينا الدهشة الفلسفية التي تدفعنا إلى التساؤل الدائم والمتواصل بطريقة ملحّة وجديّة ماذا تعني كلمة تقني؟.

يعود بنا هيدغر في تحديد المعنى الإشتقاقي لكلمة تقنية إلى اليونان وهي مشتقّة من كلمة "تيكنيكون" وإلى حدود فترة أفلاطون كانت مرتبطة بالكلمة (أبيستينون) وهي تعني العلم أو المعرفة وكلاهما اسمان للمعرفة بالمعنى الأوسع. ويعنيان فعل القدرة على الإهتداء في شيء ما والتعرّف إليه، أمّا في عودته إلى أرسطو يجده يميّز بين المعرفة والتقنية ،وهي الشيء الذي ينتمي للتقنية، ولفهم هذه الكلمة يأخذ بعين الإعتبار نقطتين:

الأولى هي أنّ التقنية لا تعني فعل الصانع وفنّه فقط، بل تعني أيضا الفن والفنون الجميلة، إنّها صناعة أو إنتاج شعري بالمعنى الأسمى للكلمة، والثانية فتعني العلم أو المعرفة.

وإذا كان هيدغر يأخذ التقنية بمفهوم الفن والفنون الجميلة فإنّ الفن بالنسبة إليه يحمل حقيقة "الحقيقة تحدث في العمل بوصفها عملا فنيا (...) بوصفها إظهار موجود من هذا النوع لم يكن موجودا من قبل ولن يكون له وجود بعد مرّة أخرى"[24].

وعليه ماهية التقنية لا تكمن نهائيا في الفعل والإستعمال ولا في استخدام الوسائل أيضا بل تكمن في الإنكشاف، إنّ التقنية شكل من أشكال الحقيقة (الأليثيا)، وماهيتها إنتاج بمعنى انكشاف، لا إنتاج بمعنى الصنع. تنتشر التقنية في المنطقة التي وجد فيها الإنكشاف واللاتحجّب.

ماهية التقنية الحديثة انكشاف ويتجلّى لنا ما هو جديد فيها؛ لكن الإنكشاف الذي يسود التقنية الحديثة لا يتجلّى في إنتاج بمعنى شعري أي بمعنى الفن أو الفنون الجميلة، بل الذي يسودها هو عبارة عن "تحريض عن طريقه تكون الطبيعة منذورة إلى تقديم طاقة يمكن من حيث هي كذلك أن تستخرج وتراكم".[25]

ولتوضيح فكرته يقدم لنا مثالا حول الأرض التي تعتبر كمستودع للمعادن وحوض لاستخراج الفحم البشري، وبين الأرض التي يحرثها الفلاح، فعمل الفلاح لا يعتبر تحريض.

ومفهوم التحريض نأخذه بمعنى فعل الإلتماس الذي يستفزّ الطاقات الطبيعية و"تقديم": "إنّه يقدّم باعتباره يفتح ويوضّح، فهذا التقديم هو تقديم يشير مسبقا إلى كونه يقدّم شيئا آخر، أي بدفعه إلى الأمام من أجل استعماله النهائي وبأقل كلفة ممكنة. وهنا يقدم لنا هيدغر مثال توضيحي حول الفحم المستخرج من الحوض، فهو لا يوضع هناك ليبقى هناك أو ليكون في أي مكان بل أنّه يخزّن، أي يوضع في مكان تكون الحرارة الشمسية المختزنة فيه مسخّرة له وهاته الأخيرة مدعوة إلى تسليم حرارة مرتفعة تكون بدورها مسخّرة لتسليم البخار الذي يولّد الضغط الناتج عن حركة آلية تشغّل مصنعا.[26]

ويقدّم مثالا آخر حول المحطة الكهربائية التي أقيمت في مكان نهر الراين فهي تعمل على تسليم ضغطه المائي الذي يدفع الآلات إلى الدوران تعمل هذه الحركة على تدوير الآلة التي تنتج التيار الكهربائي الذي تبقى المحطة الجهوية وشبكتها مسخّرتين لغاية توصيله ونقله.[27]

إذن النهر هنا كطاقة طبيعية مسخّرة لإنتاج الطاقة الكهربائية التي تحرّكها مجموعة من الآلات وهي بدورها مسخّرة لحركة ضغط الماء."ذلك أنّ هذه الإستثارة التي تهيمن من كل جهة على التقنية الحديثة تمتد عبر مراحل وبأشكال مرتبطة فيما بينها. فالطاقة المحتبسة في الطبيعة يتم التقاطها، بمعنى ما يلتقط يحوّل، وما يجوّل يكثّف، وما يكثّف يخزّن، وما يخزّن يوزّع (...)."[28]

إنّ الإنكشاف الذي يحكم التقنية الحديثة يتّخذ سمة مناداة أي استفزاز وتحريض. لقد حدثت هذه المناداة عندما تحرّرت الطاقة المختفية في الطبيعة، وما تمّ الحصول عليه بهذا الشكل تمّ تحويله، وما تمّ تحويله تمت مراكمته واختزانه، وما تمت مراكمته تمّ توزيعه، وما تمّ توزيعه تمّ حفظه واستهلاكه من جديد. إنّ الأفعال حصّل وحوّل، وراكم، ووزّع، وخفّض هي أنماط للإنكشاف...أمّا الآن أي نوع من الإنكشاف يلائم ماسيتحقّق بالمناداة المحرّضة؟ إنّ ما يتحقّق بهذا الشكل يطلب منه أن يكون مسخّرا للتوّ في المكان المطلوب وأن يكون موجودا فيه بشكل يجعله طوع تسخير لا حق.[29]

يقدّم لنا هيدغر في ذلك مثال توضيحي حول الطائرة يؤكّد فيه على التزامه بالمنهج الفينومينولوجي في طريقة تفكيره بحيث يأخذ الظاهرة كما هي ليكتشف بعد ذلك ماهيتها باعتبار أنّ الطائرة ظاهرة من بين الظواهر التي تستدعي التوجّه إليها وكموضوع قابل للدراسة، يقول المثال: "ما القول في طائرة تجارية واقفة على أرضية المطار وقت الإقلاع، إنّها مع ذلك موضوع بكل تأكيد، نستطيع أن نتمثّل الظاهرة كما هي، لكن نلاحظ أنّها تخفي ما هي عليه، والكيفية التي تكون عليها. في المدرج حيث هي واقفة لا تنكشف لنا كمخزون إلاّ بقدر ما تكون مسخّرة لتأمين إمكانية نقل. لذا ينبغي أن تكون قابلة للتسخير، أي مستعدّة للتحليق، وعليها أن تكون كذلك في كل تركيبتها وفي أجزائها."[30]

وعليه يميّز هيدغر بين التقنية كأداة أو آلة يحقّق بها الإنسان حاجياته اليومية والضرورية وكفعالية إنسانية وبين ماهية التقنية التي لا تمت بصلة لكل ما هو تقني أو أداتي، باعتبارها تسخير وتحريض الطبيعة على إنتاج أو الظهور واللاتحجّب، غير أنّ هذا الإنتاج والتحريض المسخّر للطبيعة لا

يحدث بمعزل عن النظريات العلمية والفيزيائية للطبيعة ليؤكّد لنا بعض الفلاسفة ومن بينهم هابرماس أنّ العلم هو أساس ظهور التقنية ولولا التطورات العلمية لمّا ازدهرت وتنوّعت التقنية لكن هذا الموقف يعارضه هيدغر بشدّة ليجعل من التقنية أساسا للعلم، فما هو موقف هيدغر من العلاقة بين التقنية بالعلم؟

4 علاقة التقنية بالعلم عند هيدغر

إنّ موقف هيدغر من العلاقة بين التقنية والعلم غير واضح الصورة منذ القراءة الأولى، إذ يقرّ في بداية إشارته إلى هذه العلاقة أنّ العلم هو أساس التقنية؛ أي أنّ العلم هو أسبق في وجوده على التقنية، وما التقنية الحديثة إلاّ العلم الطبيعي مطبّقا ومجسّدا باعتبارها علاقة مستقرئة من التاريخ لا يمكن نفيها أو رفضها في قوله: " إنّ إنسان عصر التقنية مدعو إلى الكشف بطريقة مثيرة. يتعلّق الكشف أوّلا بالطبيعة من حيث أنّها أهمّ احتياطي لمستودع الطاقة. وبصورة مقابلة فإنّ السلوك المسخّر للإنسان يتجلّى أوّلا في ظهور علم الطبيعة الحديث والدقيق ونمط التمثّل الخاص بهذا العلم يتابع بدقة الطبيعة منظورا إليها كمركب قويّ قابل للحساب. وليست الفيزياء الحديثة فيزياء تجريبية لأنّها تطبّق على الطبيعة أجهزة لمساءلتها، بل على العكس من ذلك فكون الفيزياء –كنظرية خالصة- تجبر الطبيعة على أن تظهر نفسها كمركب قوي قابل للحساب والتنبّؤ، هو ما يجعل التجريب مسخّرا لمساءلتها واستنطاقها، وبأية كيفية قد تخضع الطبيعة وتستجيب تحت طائلة الإدغام لهذا النداء".[31]

لكن بطرحه مباشرة للتساؤلات الفلسفية التالية: -"إذا كان العلم الرياضي للطبيعة قد ولد قبل التقنية الحديثة بقرنين من الزمن فكيف يمكن أن يكون قد وضع مسبقا في خدمة التقنية؟ ألم تخط التقنية الحديثة خطواتها الأولى فقط عندما استطاعت الإرتكاز على علم الطبيعة الدقيق؟ يظل هذا الإعتراض صحيح من وجهة نظر حسابات علم التاريخ لكن إذا فكّرنا فيه بمعنى التاريخ فسيكون غير حقيقي-[32] يزعزع هذا المفهوم حول هذه العلاقة التبادلية بين التقنية والعلم.

فبالرغم من أنّ الملاحظة التاريخية تقول أنّ العلم الحديث للطبيعة بدأ في القرن السابع عشر، والتقنية ذات المحرّكات لم تتطوّر قبل النصف الثاني من القرن 18م أي أنّ العلم متقدّم على التقنية فإنّه في نظر هيدغر التقنية الحديثة هو السابق في التاريخ، نقصد بالتاريخ هنا الماهية الكامنة والمتحكّمة فيه. إنّ التقنية الحديثة بالنسبة للتصوّر الأنثروبولوجي الأداتي هي التطبيق العملي لعلم الطبيعة، وتعريف التقنية الحديثة كعلم طبيعة مطبّق تعريف غير كاف.

إنّ التقنية في نظره ليست ذلك الجانب التطبيقي-العملي من المعرفة العلمية بل إنّ المعرفة العلمية نفسها في جوهرها تقنية، وإذا كانت التقنية قد مثّلت في الماضي ذلك الجانب التطبيقي والعملي للمعرفة التي بلغها الإنسان، فذلك لم يعد يقبل به اليوم، حيث تطوّرت المعرفة العلمية وأصبحت في

جوهرها تقنية، لذلك نجد عالما فيزيائيا كبيرا وهو هايزنبرغ يتكلّم عن التشابك المزدوج بين المعرفة العلمية والتقنية.[33]

وسيستمرّ هذا المظهر الخادع لهذه العلاقة طالما لم نسائل بما فيه الكفاية عن الأصل الأساسي للعلم الحديث، ولا أقلّ من ذلك عن ماهية التقنية الحديثة، وإثبات العلاقة التبادلية بين علم الطبيعة والتقنية وتسميتهما ب"الأختين التوأمين" هو شيء لا معنى له مادمنا لم نأخذ بعين الإعتبار أصلهما المشترك. فلا يمكن أن توجد تبادلية بين علم الطبيعة والتقنية إلاّ إذا تمّت بنيتهما على نفس الشاكلة، إلاّ إذا كفّ العلم عن أن يكون مجرّد أساس للتقنية وهذه الأخير عن أن تكون مجرّد تطبيق العلم، إنّ الأحمر والأخضر متشابهان، ماداما يشتركان في الخاصية المماثلة وهي أنّهما في نهاية المطاف لونان.[34]

يتساءل هنا هيدغر عن النقطة التي يتظافر فيها علم الطبيعة والتقنية الحديثة لدرجة التطابق وعن السمة الخاصة لكل منهما ليصل إلى إجابة غير مباشرة وهي إجبار الطبيعة على الخضوع لتصميم مسبق من حيث هي مجال للموضوعية حتّى تغدو السيرورات الطبيعة قابلة للحساب بشكل قبلي. هذا الإجبار المحرّض هو ما يشكّل بالضبط في آن واحد أساس التقنية الحديثة، ماهية التقنية الحديثة هي تحريض الطبيعة على أن تقول، هو إجبارها أن تظهر في وضعية قابلة للحساب، هذا الإجبار ينكشف في صور وأشكال متنوّعة ومترابطة فيما بينها.لقد تمّ استخراج الطاقة المختفية في الطبيعة وما تمّ استخراجه تم تحويله وما تمّ تحويله تمت مراكته ثمّ تخزينه وما تمّ تخزينه تمّ توزيعه.

وعليه فإنّ علم الطبيعة الحديث مع إرغامه النظري الوظيفي للطبيعة من منظور موضوعية قابلة للحساب، لا يمكن أن يكون سوى تنويع من تنويعات التقنية الحديثة. في هذه الحالة يجب قلب التصوّر الجاري للعلاقة بين علم الطبيعة والتقنية: لن يغدو علم الطبيعة هو قاعدة التقنية، بل ستغدو التقنية الحديثة هي البنية الحديثة التي يستند عليها علم الطبيعة الحديث، وعليه فأصلهما المشترك يختفي فيما يسمى بالإستفسار التحريضي الذي يعتبر نشاط إنساني على أن يكون هو ذلك السعي للتمثّل والإنتاج المرتبط بالطبيعة، وهذا ما يدفعنا إلى طرح مسألة علاقة التقنية بالإنسان عند هيدغر. وهل من بعد إنساني للتقنية عند هيدغر؟ وهل التقنية حماية لوجود الإنسان أم تهديد لكيانه وجوهره؟

5. التهديد التقني لمصير الإنسان والمنقذ منه لدى هيدغر

يؤسّس هيدغر لعلاقة التقنية بالإنسان انطلاقا من فعل الإنتاج كنشاط يقوم به الإنسان وهو انتقال الشيء من حالة الإختفاء إلى حالة عدم الإختفاء أو من التحجّب والتستّر إلى اللاتحجّب والتكشّف والذي يكون على أساس من التحريض والإستفسار، فالإنسان هو الكائن الوحيد المستعد

لتحريض الطبيعة وتسخير الواقع كمخزون وهو نفسه الذي يكون مدفوعا إلى تحرير طاقات الطبيعة وعملية التسخير هاته تؤدي إلى الإنكشاف "إنّ الإنسان بتعاطيه للتقنية، يشارك في التسخير وكأنّه شكل من أشكال الكشف."[35]

وعليه فإنّ خطورة التقنية تكمن في هذا الإنكشاف الذي يعتبر مصير وقدر لا يساهم في حماية كينونة الإنسان بقدر ما يشكّل خطر وتهديد لكيانه ووجوده ومستقبله. إنّ مصير الإنكشاف ليس في حدّ ذاته خطرا من بين الأخطار، بل هو الخطر الأقصى وخطورة هذا الإنكشاف تتمثّل في فقدان الإنسان لحريته. "إنّ الإنسان في كل كينونته دوما محكوم من طرف مصير الإنكشاف. لكن المسألة ليست أبدا مسألة قدر قسري. إذ أنّ الإنسان لا يصبح حرّا إلاّ بقدر ما يكون مندرجا في ميدان المصير، وبذلك يصبح إنسانا ينصت لا قنّا يؤمر(...) إنّ الحرية هي ميدان المصير الذي يضع في كل مرّة انكشافا في الطريق."[36]

لمّا اتّجه إنسان الأزمنة الحديثة إلى امتلاك الواقع والتحريض على الإستفسار ، تحوّلت علاقته بالتقنية إلى علاقة عبودية، مارست حجب سؤال المصير وإفراغ الإنسان من تاريخيته، وجّهت التقنية الحديثة الإستفسار إلى محرّض للإنكشاف، إلى درجة المماثلة الفعلية بين الإنتاج والمصير. ينظر الغرب إلى خلاصه فيما ينتجه، وقد مثّل الإستفسار حجر الزاوية في تحديد مصير أوروبا، قامت التقنية قدرا وسلطة خطابية مارست التدمير وأجّلت انكشاف مقام الحرية.[37]

فأوّل خطر تشكّله التقنية على الإنسان هو فقدان الحرية التي يتمتّع بها هذا الكائن العاقل وهذا ما نجد صداه عند الفيلسوف هاربرت ماركيوز من خلال كتابه الإنسان ذو البعد الواحد الذي يبرز فيه مخاطر التكنولوجيا والوسائل المتطوّرة على حياة الإنسان وفي شتى المجالات وخاصة المجال السياسي باعتبار التقنية أداة ووسيلة سيطرة، تسيطر بها الدول القوية على الدول الضعيفة، أو سيطرة الطبقة البرجوازية على الطبقة العاملة.

فالرفاهية والفعالية وافتقاد الحرية هي من مميّزات الحضارة الصناعية المتقدّمة، والحقوق والحريات التي كانت عوامل أساسية في المراحل الأولى من المجتمع الصناعي تقل أهميتها وحيويتها في مرحلة أكثر تقدّما وتفرغ من مضمونها التقليدي.[38]

يعيش الإنسان اليوم تحت هيمنة التطورات التقنية التي أفقدته حريته، بحيث أصبح هو خاضعا لها وتحت سيطرته دون أن يشعر بذلك، وجعلته يتوهّم أنّه بإمكانه التخطيط لمستقبله والتحكّم في مصيره، لكنّه يعيش في أخطر عصر هو العصر التقني الذي أصبح فيه الإنسان خادما وموظّفا للتقنية.

لم يدرك الغرب منذ البدء أنّه محكوم بسلطة الخطاب التقني، وأنّه متّجه اليوم إلى حدوث شيء لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسانية، تدخل الإنسانية عصرا، أطلقت عليه اسم العصر النووي." لم يعد مصير الوجود في خطر فحسب، بل حوّلت التقنية الإنسان إلى تابع لفائض المخزون الطاقي. يضع الواقع الفعلي الإنسان أمام مواجهة درامية لمصير مهدّد بخطر التقنية، متمثّلة في عصرها النووي."[39]

عصر الذرّة بالنسبة لهيدغر، وعلمه وعنفه، ليست إلاّ أعراضا –كارثية بالضرورة- لهذا النمط القاصر في التفكير ، لو لم تكن هيروشيما وناجازاكي كان سيكون شيء آخر، كارثة أخرى، عاجلا أو آجلا، فالطبيعة قد اختزلت إلى حدود الأداة بالنسبة للتكنولوجيا المعاصرة، وفيما يخص عصر الحساب التكنولوجي، كتب هيدغر:" سيكون من قصر النظر النزوع إلى إدانة هذا العالم باعتباره من عمل الشيطان. فنحن تابعون للأشياء التي وفّرتها لنا التقنية، والتي تدعونا إلى إتقانها وتحسينها باستمرار. غير أنّ تعلّقنا بالأشياء التقنية بلغ من القوّة بحيث أصبحنا، دون أن ندري عبيدا لها. ويواصل يمكننا أن نقول: "نعم" لاستخدام الأشياء التقنية الحتمي، كما يمكننا أن نقول في نفس الوقت: "لا" بمعنى أنّنا نمنعها من أن تتملّكنا وتفسد وجودنا وتشوّهه، وفي النهاية تفرغه."[40]

أفرغت التقنية الإنسان من جوهره وروحه الحقيقي، تعتبر التقنية آخر وجه من وجوه الميتافيزيقا التي نسيت سؤال الوجود، وأهملت سؤال الكينونة، فكل ماعملته التقنية هو أنّها أفقدته أصله، جعلته تائها لا يعرف حقيقة قيمه ومبادئه ولا يعرف كيفية التمسك بثقافته، "أهملت التقنية الحديثة سؤال الوجود، وضاعفت من حجبه إلى درجة استحالت الإنصات إلى ندائه، في ظل الهيمنة، وبفعل الإستفسار وتسخير ما هو مخزون للسيطرة وللإستحواذ، ضعف اهتمام الإنسان الغربي بسؤال وجوده، واستشراف ما ينقذه وينقذ مصيره، اشتدّت الأسئلة إلى مضاعفة مردودية التقنية، وتدعيم مراكز نفوذها. بقي الإنسان غريبا عن العالمي والتاريخي، ومنع من الإلتفات إلى الوراء لاستقدام ما ينقذ."[41]

فبدل أن تقوم التقنية بحماية الثقافة الإنسانية عملت على القضاء على الإنسانية، خاصة وأنّ هيدغر عاش واستشعر الحربين العالميتين وأدرك مخاطر القنبلة الذرية. إنّ نزع الصفة الإنسانية، والقتل الجماعي، بالنسبة لهيدغر، ناجمان عن الأخلاق الوخيمة لزمننا المعاصر.

في محاضرة ألقاها هيدغر سنة 1955م بعنوان "السكينة" يلحّ فيها على الطابع القاصر والمهيمن للفكر المعاصر، ويصفه بالفكر الإنتهازي القائم على الحساب النفعي. فمثل هذا الفكر غير تأمّلي، وبما هو كذلك فهو لا يجمع معنى الأشياء ولكن فقط يعاملها باعتبارها موضوعات للحساب الأداتي. وبسبب هيمنة هذا الفكر القائم على الحساب الخاص بعصرنا فنحن مقطوعو الجذور ومستلبون من أصلنا الخاص.[42]

ساهمت التقنية في نسيان سؤال الوجود، فاجتثت الإنسان من جذوره وأفقدته طعم البحث عن أصله فلم يعد يبحث عن ذاته ويتأمّل في جوهره، ولم يعد يهتم ببناء مستقبله انطلاقا من الحفر والتنقيب في ماضيه، "تشترك التقنية مع الميتافيزيقا في نسيانهما للوجود، وإن اختلفا في أسلوب ممارسته، مثّلت التقنية لحظة حاسمة من لحظات الميتافيزيقا، بل هي اللحظة التي ملكت حريّة الوجود الإنساني داخل فضاء علمي لن يتحرّر منه الغرب حتّى مستقبلا باعتباره عقلا امتدّ إلينا منذ البدء الأوّل."[43]

لكن بالرغم من هذه الإنتقادات الحادة التي يوجّهها هيدغر للتطوّر التقني فهو لا يرفضها أو ينكر مزاياها، بل كل ما يعاتبنا عليه هيدغر هو أنّنا لم نتساءل عن ماهية التقنية لنتجنّب أخطارها. في حوار له مع ريتشارد فيسر يسأله: ماذا تقصدون حينما تتحدّثون ثانيا عن خطر أكبر من خطر القنبلة الذريّة هو قانون التقنية، يعترض هيدغر رافضا لسوء فهم كلامه وعدم تأويله بشكل مناسب قائلا: "لست ضدّ التقنية لم أقل أبدا شيئا ضدّ التقنية ولا ضدّ ما يسمى شيطانيا في التقنية، ولكنني أحاول أن أفهم ماهية التقنية.[44]

فكل ما يقوم به هيدغر هو تحذيرنا من خطورة استخدام التقنية ضدّ الإنسان الذي يعتبر أكبر من خطورة القنبلة الذرية، ذلك أنّ التقنية حينما تبلغ ذروتها كبيوفيزياء فإنّها تصبح قادرة على صنع الإنسان في ماهيته العضوية، وبالتالي فقدان الأصالةالحقيقية للإنسان. "إنّ إحدى المخاطر الكبرى لتفكيرنا اليوم تتمثّل بالضبط في أنّ التفكير-بمعنى التفكير الفلسفي- لم تبق له علاقة حقيقية أصلية مع التراث."[45]

لا يتوقّف هيدغر عند إظهار مخاطر التقنية وإبراز نتائجها السلبية على الإنسان فقط بل يبحث عن المنقذ من هذا الخطر،" هناك حيث يكون الخطر ينمو هناك أيضا ما ينقذ (...) الفعل أنقذ يعني أن نقود نحو الماهية من أجل إظهارها للمرة الأولى، وبالطريقة الخاصّة بها. إذا كانت ماهية التقنية أي الإستفسار، هي الخطر العظيم،(...) ينبغي إذن أن تكون ماهية التقنية هي التي تحتضن نمو ما ينقذ.(...) كيف يمكن "لما ينقذ" أن ينمو أيضا هناك حيث يكون الخطر؟ " [46]

يتساءل هيدغر عن المنقذ من هذا الخطر الأكبر الذي حلّ بالإنسان اليوم وهدّد كيانه وأفقده وجوده الأصلي والذي حوّله إلى عقل أداتي، لا يتحرّك إلاّ بأوامر هذه الآلات والأجهزة المتطوّرة التي أصبح خاضعا لها فأصبح تفكيره حسابي نفعي يجري وراء تحقيق مصالحه النفعية والمادية فقط دون أن يلتفت إلى جانبه الروحي أو المعنوي. ونظرا لضياع المعنى في وسط هذا الركام التقني لجأ هيدغر إلى الشعر والفن كمنفذ يستعين به الإنسان ليحمي نفسه من السقوط الكلي في وحل التقنية والأجهزة المتطوّرة.

يستدل هيدغر بالشاعر في قوله:

لكن هناك حيث يكون الخطر

هناك أيضا ينمو ما ينقذ.[47]

يبحث هيدغر عن المنقذ من هذه الحالة التي يعيشها الإنسان المعاصر لعلّه يرجع إلى مسكنه الأصلي أين يجد ماهيته الحقيقية ولن يجدها إلاّ في الفن الذي يعتبر في ماهيته شعرا.

يقرّ هيدغر على أنّ كلّ الفنون ترتد في أصلها إلى الشعر (Dichtoung-Poésie) ويقصد بذلك أنّ كل فن من الفنون يتضمّن فعل يبدع ويخلق أو يتخيّل (Dichten-Créer) الفن بهذا الشكل هو خلق وانفتاح جديد للموجود في كليّته وهذا ما يسمّيه هيدغر بتجربة الحقيقة أو لنقل بشكل آخر تجربة

الحضور لما هو حاضر في العمل، الفن من حيث ماهيته الشاعرية الدالة على الخلق والإنتاج هو حضور الحاضر، بمعنى تركه ينكشف في الحضور. يقول هيدغر في محاضرته أصل العمل الفني: "إذا كان الفن في جوهره شعرا، فيجب أن ينسب فن العمارة وفن التصوير وفن الموسيقى إلى فنّ الشعر(...) الشعر طريقة من طرق تصميم الحقيقة المنير، أي الشعر بهذا المعنى الواسع."[48]

الشعر هنا ليس كما تم تصنيفه مع الأفلاطونية وإحصاؤه ضمن "علوم التوهم"، وليس الشعر هنا كذلك كما يتحدث عنه الشعراء لما يتحدث هؤلاء عن مسائل التفعلة والوزن والصورة...الخ، المقصود بالشعر هو المنحدر الأصيل للفكر وللشعر وللفن معا. أما الشاعر المطلوب محاورته فهو ذلك الذي يكون شاهدا على علامات انسحاب المقدس وتواريه ليترك الحقيقة تكشف عن نفسها. فيكون بموجب ذلك وسيطا بين الحاضر والمستقبل يكشف ما خبأه الزمان عن الناس ذلك لأن أية نظرة إنسانية لا تستطيع أن ترى، ولا أي أذن إنسانية أن تسمع بدون الكلمة الشعرية. [49]

والتقنية عند هيدغر ليست عبارة عن فن أداء عمل بطريقة مميّزة، أو هي مهارة القيام بفعل ما وصناعته كتقنية العزف على البيانو، أو مهارة في الطبخ، أو صناعة الخزف أو غيرها من الصناعات الأخرى. بل تجاوزها لتعبّر عن " نوعا من المعرفة، ومعرفة شيء تعني رؤيته مسبقا بالمعنى الواسع لكلمة الرؤية والذي يفيد تلقي ما هو حاضر بما هو كذلك، وتقوم ماهية المعرفة حسب التفكير الإغريقي في الحقيقة أي في كشف الكائن."[50]

هذا الوضع الأنطلوجي، حيث الضيق والضجر والتيه، هو ما يجعل مسألة الشعر مسألة جديرة بالسؤال اليوم، وهو ما سيمكن من وضع لبنات وتهيئ التربة لممكن ترتسم معه معالم نمط جديد في الحياة وعلاقة لا ميتافيزيقية بالفكر وباللغة وبالشعر وبالفن بوصفها القوى الأساسية التي منها نمنح إلهامنا الروحي، كل هذا من أجل وضع لبنات جديدة للإبداعية والحرية؛ وبالجملة، من أجل إقامة شعرية بدل الضيق والضجر الذي نحس به مع العالم الذي شيدته التقنية من خلال القرارات التي نفذها موظفو التقنية والتي أصبحت شارطة لشروط إمكان الإقامة والسكن على الأرض وربما هم يفكرون في شروط إمكان الإقامة حتى خارج فضاء الأرض. [51]

حوار الفلسفة للشعر إذن، هو نوع من النداء من أجل دفع الميتافيزيقا إلى أن تفكر في ما تم نسيانه من طرف الميتافيزيقا ذاتها -أي التفكير في الحقيقة ليس بوصفها مسألة منهج وقواعد منطق، وإنما باعتبارها انكشافا كما تحدث عنها المفكرون الشعراء عند انشغالهم بالفيسوس. وشعر بارمنيد من بين الكتابات التي سبق لها قبل ميلاد الفلسفة كتقنية تعلم في الأكاديمية الأفلاطونية، أن تأملت مسألة الوجود وأنصتت إلى نداء حقيقته "بأذن" مختلفة عن تلك التي استمع بها الفكر الغربي منذ نشأته كفلسفة إلى اليوم وقد أصبح فكرا كونيا يريد أن يدمج جميع الهويات تحت معاييره وقيمه.[52]

إذن الشعر هو الملاذ الوحيد للإنسان الذي يستعيد به وجوده الحقيقي ويخلّصه من قبضة التقنية المسيطرة يقول هيدغر: أصل العمل الفني: "فعلى الشعر أن يجد طرقا منقذة في عصر انتشار التقنية العالمية."[53]

وعليه إنّ الحيّز الذي يعمل فيه الشعر هو اللغة. ويجب مقاربة جوهر الشعر إنطلاقا من جوهر اللغة، الشعر تسمية مؤسّسة للوجود ولجوهر كلّ الأشياء وليس مجرّد قول يقال كيفما اتّفق، والقول الذي ينكشف من خلاله كل شيء، أي كلّ ما نتلفّظ به وما نصوغه في لغة التخاطب اليومي. لذلك نستطيع أن نقول هنا إنّ الشعر لا يتلقّى اللغة بوصفها مادّة تكون في تصرّفه لكي يُعمل آليته فيها، بل على العكس من ذلك، الشعر هو الذي (ص 65) يبادر إلى جعل اللغة ممكنة. الشعر هو اللغة البدائية لشعب تاريخي فينبغي إذن، وبرغم ما يبدو بديهة، أن نفهم جوهر اللغة إنطلاقا من جوهر الشعر. قلنا إنّ تأسيس الوجود في العالم للإنسان هو الحوار بوصفه نمطا خاصّا من تشكّل اللغة، إلاّ أنّ اللغة البدائية هي الشعر بوصفه تأسيسا للوجود.[54]

إذن هيدغر لا يتناول الشعر من جانب صوره الشكلية والتركيز على قواعده وموازينه لأنّه من شأن المتخصّصين في ذلك، وإنّما يلجأ إلى الشعر باعتباره المنقذ الأساسي الذي تلجأ إليه البشرية وما تؤول إليه من مخاطر نتيجة طغيان الجانب المادي، فالشعر هو الملاذ الوحيد للتخلّص من قبضة التقنية التي ساهمت في نسيان سؤال الوجود وحجبت عنّا إمكانية التفكير في كينونة الدازاين.

4. خاتمة:

صفوة ما توصّلنا إليه هو أنّ التقنية مثّلت موضوعا أساسيا للعصر الحديث والذي يجب على الفلسفة التفكير فيه وطرح التساؤلات حوله، فكان تفكير هيدغر في الموضوع فينومينولوجيا حاول البحث عن ماهية التقنية بتجاوزه للتصور الأنثروبولوجي للتقنية الذي يعتبرها مجرّد آلة أو وسيلة يحقّق بها الإنسان غاياته وحاجياته اليومية. عاد هيدغر إلى الإشتقاق اليوناني للكلمة حتى يثبت أنّ ماهية التقنية ليست أبدا شيئا تقنيّا، وتوقّف عند أرسطو الذي اعتبر أنّ كلمة تقني تعني المعرفة والإنتاج، ليعتبر أنّ ماهية التقنية هي تحريض الطبيعة وتسخيرها للإنسان باعتبارها مستودع للطاقة، كما أنّه أشار إلى علاقة العلم بالتقنية، وقلب التصوّر الفكري السائد الذي يقول أنّ العلم أساس للتقنية، لكنّه برهن على أنّ التقنية هي أساس العلم وشبهما بالتوأمين. لكن بالرغم من وجود جانب إيجابي للتقنية الحديثة والمتطوّرة والوسائل التكنولوجية لما تحقّقه للإنسان من حاجيات ضرورية وتوفّره له من رفاهية، يحذّرنا هيدغر من مخاطرها وسلبياتها على الوجود الإنساني، حيث أصبح الإنسان يعيش اغترابه في ظل هذا العملاق التقني، وأضحى يحيى بعيدا عن قيمه ومبادئه وثقافته مقيّدا ومأسورا تحت سلطة آلاته وهواتفه وتحت سيطرة أجهزته، ومع ذلك حاول هيدغر أن يوجد للإنسان منفذا يحقّق من خلاله تحرّره من قبضة التقنية التي أصبحت هي التي تتحكّم في الإنسان

بدل من أن يتحكّم هو فيها. هذا المنفذ هو اللغة الذي يمثّله الشعر كفن من الفنون يحقّق من خلالها الإنسان ذاته ويحفظها من الزوال والإندثار لأنّ اللغة هي المسكن والملجأ الآمن للإنسان من الضياع والنسيان.

5. قائمة المراجع:

[1] - هيدجر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، تر: محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995م، ص43.

[2] لالاند (أندريه)، موسوعة لالاند الفلسفية، مج 2، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1996، ص803.

[3]هيدغر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص43.

[4]هيدغر (مارتن)، ماذا يعني التفكير؟، تر: نادية بونفقة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، د.ذ.ط، 2008م، ص 36 ، 37.

[5] هيدغر (مارتن)، ماذا يعني التفكير؟، ص 40، 41، 42.

[6]- هيدغر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 43.

[7]- التقنية هي مجموع الوسائل والأدوات التي يخترعها الإنسان اعتمادا على النظريات العلمية، وبهذا المعنى تعبّر عن حاجة حياتية تُلزم الإنسان بتعويض ضعفه الفيزيائي، في مواجهته لمخاطر الطبيعة الخارجية –الزلازل، البراكين، الفيضانات- والداخلية- الأمراض بكل أنواعها. لذلك فإنّ التقنية تعني أيضا جملة المهارات والوسائل والطرق اليدوية والصناعية، من أجل الوقاية والصيانة والتسيير. إنّ جملة التقنيات هاته هي ما تنصبّ على دراسته التكنولوجيا. لقد تطوّرت التقنية عبر آلاف السنين أحيانا بشكل بطيء وأخرى بطريقة سريعة. ويمكن التمييز بين مرحلتين ممتدتين في تاريخ التقنية:1-مرحلة التقنيات اليدوية التي اعتمد فيها الإنسان على استعمال الوسائل الطبيعية المباشرة مثل الحجر، ثمّ غير المباشرة بعد اكتشاف المعادن مثل الحديد والبرونز، (...) 2- مرحلة التقنيات الآلية التي تعبّر عن تطوّر تاريخي تدريجي للتقنية، وهو تطوّر مهمّ تزامن مع ظهور العلم الحديث منذ القرن 17م، حيث أصبحت التقنية تطويرا للعلم. سبيلا (محمد)، الهموزي (نوح)، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، منشورات المتوسط، ميلانو-إيطاليا، ط1، 2017، ص 156، 157، 158.

[8]- هيدجر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 43.

[9]- في نظر هيدغر تنقسم عبارة الفينومينولوجيا إلى قسمين هما: فينومان ولوغوس ولكل منهما اشتقاق يوناني وهي على وزن ثيولوجيا وسوسيولوجيا وبيولوجيا وهي أسماء تترجم إلى: علم الإله، علم الاجتماع، علم الحياة، فكانت الفينومينولوجيا تبعا لذلك هي علم الظواهر. **أ_ مفهوم الفينومان:** مشتقة من فعل يوناني يعني انكشف أي تدل على الذي ينكشف، المنكشِف، المتجلّي، أي صيغة حمل الشيء إلى وضح النهار، وضع الشيء في النور، بمعنى ما ضمنه يمكن أن يصير شيء ما جليّا، قابلا للإبصار في ذات نفسه، بذلك فما ينبغي أن يسجّل كدلالة لعبارة فينومان هو: المنكشِف -في- ذات-نفسه، المتجلّي. ب- مفهوم اللوغوس: إنّ اللوغوس إنّما هو وبالضبط البلاغ الصوتي الذي ضمنه يكون شيء ما مبصرا. وإنّه فقط من أجل أنّ وظيفة اللوغوس من جهة ما هو كلام تكمن في البيان المبين عن شيء ما، فإنّ اللوغوس يمكن أن تكون له الصورة البنيوية ...إذ لا يعني التأليف ههنا أن نربط ونشدّ بين التمثيلات، أن نعبث بالحوادث النفسية، فينبثق ضرورة، بخصوص هذه الروابط المشكل المتعلق بكيفية تطابقها بما هي شيء باطني مع العنصر الفيزيائي في الخارج. فإنّ (ص95) إنّما لها هنا دلالة أبوفنطيقية محضة وتعني: أن نترك شيئا ما يُبصر في معيّته مع شيء ما، أن نترك شيئا ما يبين بما هو شيء ما. هيدغر (مارتن)، الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، مراجعة: اسماعيل المصدق، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_لبنان، ط1، 2012م، ص 88، 95، 96.

[10]- هيدجر (مارتن)، الكينونة والزمان، 87. -

[11]- بومنير (كمال)، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 57.

[12]- مفرج (جمال)، الفينومينولوجيا الهرمينوطيقية عند هيدغر، مجلة أيس، دار الصحافة الجزائر، العدد 3، مارس، 2009م ص 20.

[13] - المرجع نفسه، صفحة نفسها

[14]هيدغر (مارتن)، ماذا يعني التفكير؟ ص 20.

- -Heidegger (Martin), La question de la technique, Essais et conférences, 1958, p9.[15]

[16]- هيدغر (مارتن)، لغة التقليد ولغة التقنية، تر: حسن مصدق، مجلة أيس، دار الصحافة الجزائر، العدد 3، مارس، 2009م، ص 76.

[17]--هيدغر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 45

[18]- المصدر نفسه، ص 45

[19] - المصدر نفسه، ص 46، 47.

[20]__ هيدغر (مارتن)، مبدأ العلّة، تر: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات، ص 5.
[21]هيدجر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 51.
[22]__المصدر نفسه، ص 51.
[23]__المصدر نفسه، ص 52.
[24]__ هيدغر (مارتن)، أصل العمل الفني، تر: أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا __ألمانيا، ط1، 2003، ص 22.

[25]- - Heidegger (Martin), La question de la technique, p35
[26]- هيدجر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 57،
[27]__المصدر نفسه، ص 58.
[28]- هيدغر (مارتن)، لغة التقليد ولغة التقنية، ص 78.
[29]__ هيدجر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 58.
[30]-المصدر نفسه،
[31]- - Heidegger (Martin), La question de la technique, p24 .
[32]- . Ibid p 25
[33]- بومنير (كمال)، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص57 .
[34] - هيدغر (مارتن)، لغة التقليد ولغة التقنية، ص 77.
[35]- هيدغر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 62.
[36]- المصدر نفسه، ص 70، 71.
[37]- الفريوي (علي الحبيب)، مارتن هيدجر (الفن والحقيقة) أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا، دار الفارابي، بيروت__ لبنان، ط1، 2008، ص 204، 205.
[38]- ماركوز (هاربرت)، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الأدب، بيروت، ط3، 1988م، ص 37، 38.
[39] - الفريوي (علي الحبيب)، مارتن هيدجر (الفن والحقيقة) أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا، ص 206.
[40]- بيتيغرو (ديفيد)، الإقتضاءات الأخلاقية لفكر هيدغر، تر: عاشور فني، مجلة أيس، العدد 3، دار الصحافة، القبة- الجزائر، 2009م، ص 32.
[41]- الفريوي (علي الحبيب)، مارتن هيدجر (الفن والحقيقة) أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا، ص199.
[42]- بيتيغرو (ديفيد)، الإقتضاءات الأخلاقية لفكر هيدغر، ص 32.
[43]- الفريوي (علي الحبيب)، المرجع السابق، ص 194.
[44] - حوارهيدغر مع ريتشارد فيسر، الفلسفة والمجتمع والتقنية والكائن، تر: إسماعيل المصدق، *https://www.aljabriabed.net/n23-15musadaq.htm*
[45]- المرجع نفسه.
[46] هيدغر (مارتن)، التقنية، الحقيقة، الوجود، ص 76.
[47] - المصدر نفسه، ص85.
[48] - هيدغر (مارتن)، أصل العمل الفني، ص 145.
[49] - طواع (محمد)، هيدغر والشعر، *https://www.aljabriabed.net/n08- 07tawaa-htm*
[50] -هيدغر (مارتن)، كتابات أساسية ج1، (منبع الأثر الفني)، تر: إسماعيل مصدق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 108.

[51]- طواع (محمد)، المرجع السابق.
[52]- المرجع نفسه.
[53]- هيدغر (مارتن)، أصل العمل الفني، ص 16.
[54] -المصدر نفسه، ص 65.